﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(السعادة في الامتثال وفي شكر النعم)

بتاريخ [٢٣-٣-٢٠١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (السعادة في الامتثال وفي شكر النعم)

الخطبة الأولى:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. يعز ويذل، ويكرم ويهين، ويخفض ويرفع، ويُضحك ويُبكي، ويغني ويقني، ويبتلي ويعافي، فلا إله إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. لا راد لقضائه ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)﴾ [الرعد: ٤١]. وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله على حين فترة من الرسل، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)﴾ [التكوير: ٢٤]. -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، نسأل الله أن يؤتيه سؤله، وأن يبعثه المقام المحمود الذي وعده، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة، وأن يشفعه فينا وفيكم، اللهم آمين.

أيُها الإخوة، لا يخفى عليكم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ملكٌ كبير متعال، استوى العرش كما قال عن نفسه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]. وأنه -سُبْحَانه- هو الذي يقضي وهو الذي يحكم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لا راد لقضائه ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾. ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]. لا يكن شيء أبدًا إلا الذي أراده الله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فهو الذي ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾. وربنا الكريم الإله المجيد -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الله، ﴿لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥)﴾ [آل عمران: ٥]. وليس بغافل عنا ولا عن أعمالنا،

بل يعلم ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩)﴾ [القصص: ٦٩]. فربنا ليس بغافل، بل من أسمائه: السميع. ومن أسمائه: البصير.

ولقد ذكرنا في كتابه الكريم في مئات من الآيات بعلمه، وسمعه، ورؤيته لنا، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]. وقال تعالى لكليمه موسى ولأخيه هارون -عَلَيْهِما السَّلَامُ-: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)﴾ [طه: ٤٦]. وقال لنبيه محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)﴾ [الحجر: ٩٧-٩٨]. وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾ [المجادلة: ١]. وكلنا في صلاتنا نقول: «سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَه».

فالله يسمعنا ويرى أحوالنا، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا، بل ويعلم ما في صدورنا، ويعلم ما نُصاب به من هموم، وغموم، وأذى، وحزن، ربنا لا يخفى عليه أبدًا شيء من ذلك -سُبْحَانه- هو الكبير، وهو العلي، وهو الحكم العدل -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يحكم فيعدل، لا إله إلا الله، ولا رب سواه، فعلينا أن نطمئن لذلك، فقد قال ربنا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وقد وعد الله في كتابه وعلى لسان رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعدًا حسنًا لأهل الإيمان أنه -سُبْحَانه- يتولاهم، ويحفظهم، ويرعاهم إن هم استقاموا على أمره، إن هم اتبعوا كتابه واتبعوا سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ [الروم: ٤٧]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ

حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يونس: ١٠٣]. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر: ٥١].

قال رسوله الأمين -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمَ-: «احفَظِ اللهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلْتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لن يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ، ولو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لن يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ». صدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ [يونس: ١٠٧]. فعلى كل منا أن يسعى للتوبة والرجوع إلى الله، ويبادر من توه بالاستغفار والإنابة إلى الله -سُبْحَانه-، فإن الناس وإن كانوا كلهم في قلق وإن كانوا كلهم في نكد وأنت مؤمن فسيجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، وإن أُبتليت فلرفعة الدرجات.

فعلينا دائمًا بالاعتصام بالله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾ [آل عمران: ١٠١]. قد يكون الناس كلهم في بلاء ولإيمانك أنت في سعادة والحمد لله، أنت في هدوء بال والحمد لله، رزقك دار لن ينقطع، فالرزاق ذو القوة المتين هو الله، ولا يخفى عليكم حديث «اسقِ أرض فلان». من بين سائر الأراضي أُمِرت السحابة أن تنزل ماءها في أرض رجل دون سائر الناس، والله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الفرقان: ٥٠]. أي: نسوق السحب ومن ثم الأرزاق إلى قوم دون قوم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾. كذا قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فعلينا بالاعتصام به والصلح مع أوامر الله وأوامر رسوله، لا نكون في حدٍ وشقٍ وأوامر الله في حدٍ وشقٍ آخر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾ [النساء:

١١٥]. وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٠]. أي: يكونون في حدٍ وحدود الله ورسوله في حد آخر ﴿أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾. وقبلها قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥]. وقال تعالى في شأن بني النضير وإجلائهم عن ديارهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٤]. كانوا في شقٍ وأوامر الله ورسوله في شق ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. فعلينا أن نصلح أحوالنا مع الله، وأن نتوب إليه، وأن نحسن الالتجاء إليه، ولا نغفل عنه -سُبْحَانه-، ولا عن ذكره، ولا عن طاعته، ولا عن عبادته، ومهما زلت منا الأقدام ومهما تعثرنا فلنعلم أننا نعبد ربًا غفورًا، ربًا رحيمًا، ربًا يقيل العثرات، ربًا هو أهل التقوى أهل المغفرة كذلك، نعبد الله غافر الذنب قابل التوب، نعبد ربًا كريمًا رحيمًا، فعلينا به بدلًا من أن تحل علينا عقوبته؛ فإنه شديد العقاب.

ثم أيضًا علينا أن نمتثل أمره ونصلح بيننا وبين الناس كذلك، وهذا موضوع خطبتنا بعد التقدمة السابقة، أقول: علينا أن نمتثل أمر الله -سُبْحَانه-، فقد قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)﴾ [الأنفال: ١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال الله -سُبْحَانه-: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. فالصلح مطلبٌ وهو خير، ولقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديثه المبارك: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنابِرَ مِن نُورٍ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا». وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُصْبِحُ على كُلِّ سُلَامَى مِن أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، وفي ابنِ آدم ثلاثُمئةٍ وستُّون مَفصِلًا». يعني: فيك يا ابن آدم على الإجمال ثلاثمائة وستون مفصلًا، مفاصل الأصابع، مفاصل الظهر، مفاصل الأرجل، مفاصل الركب «ثلاثُمئةٍ وستُّون مَفصِلًا يُصبحُ على كلِّ مَفصِلٍ مِنها صدقةٌ». فإذا قمت من النوم وجدت نفسك تستطيع التلوي على الفراش، تستطيع بسط رجليك، ومدها، وقبضها، تستطيع فرد الأصابع، هذه

نعم تستلزم شكرًا «على كلِّ مَفصِلٍ مِنها صدقةٌ، لكَ بكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَبكُلِّ تكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَبكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَبكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، ويُجْزِئُ عن ذلك ركعتان يركعُهما ابنُ آدم مِن الضُحى». وفي الحديث: «تَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ». أي: تصلح بين الاثنين عادلًا صدقة، فالصلح بين الناس شأنه عظيم، قال النبي الأمين -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةِ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ- : «ألا أنبئُكم بأفضلَ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ. قالَ: إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ، ولا أقولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ».

فليس المفسد بين الناس كالمصلح بينهم، وليس المقرب بين المتباعدين كالباغي للبرآء العنت والمشقة كالذي يفسد بين الناس، فكان لزامًا أن تكون منا طائفة تقوم بأمر الله، تصلح بين الناس، تقرب بين المتباعدين، تلك الطائفة أثنى الله عليها بقوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)﴾ [الأعراف: ١٨١]. ولهم سلف صالح قوم موسى الصالحون منهم ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)﴾ [الأعراف: ١٥٩]. فجديرٌ بنا أن تنبثق منا فئة مؤمنة صالحة تصلح بين الناس، تقرب بين الوجهات قدر الاستطاعة، -بِإِذْنِ اللهِ- تكون سببًا في التأليف بين الناس، إذا رأت خصومات وتشاحنات قربت بين الناس، لا تباعد بين الخلق، ولا تفرق بين أهل الإسلام، ولا تبث بذور الفرقة والاختلاف، بل عليها بأن تضمد الجراح، وتقرب بين المتباعدين، لا تنافق أبدًا، إنما تقول كلمة الحق، وتقرب بين المتباعدين، وتأخذ للمظلوم من ظالمه، تنتصر للظالم إذا أنجته من عذاب الله، فإنها بسعيها لأخذ الحق من الظالم تنتصر له أيضًا، تنصره بمنعه من ظلمه.

فعلينا وفي كل قرية، وفي كل بلدة، وفي كل مصر من الأمصار أن تكون منا هذه الطائفة التي يصلح الله بها بين العباد، وهي طائفة مباركة سلفها الصالح رسولها محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، لا تنتظر أن يأتيك ناس كي تصلح بينهم، بل ابحث أنت مَن

المتخاصمون، واذهب إليهم وأصلح، سمع النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنه ثم خلاف بين بني عمرو بن عوف، فقال لأصحابه: «إنَّ بني عمرو بن عوف بينهم خصومةٌ وتضاربوا، هلموا بنا نصلح بينهم». فذهب النبي للإصلاح بينهم حتى حضر وقت الصلاة ولم ينتهِ الصلح، فتقدم عبد الرحمن بن عوف في مسجد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي بالناس لتأخر النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الصلح بين الناس، إن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أقبل على الحسن بن علي والحسن طفلًا صغيرًا، فاحتضنه النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقبله، وقال: «إِنَّ ابنِي هذا سَيِّدٌ، ولعل اللهُ أن يُصْلِحَ بهِ بين فِئَتَيْنِ عظيمتينِ من المسلمينَ». ولقد كان، فلما قُتِل علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وهو بار راشد بايعت للحسن بن علي كتائب أمثال الجبال للانتصار من أهل الشام، ومعاوية معه جيش كبير أيضًا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، نظر الحسن نظرة العاقل نظرة الحكيم، مسلمون يقاتلون مسلمين، لفائدة من هذا؟ مئات الآلاف ستُسفَك دماؤهم إذا انتصر فريق، مئات الآلاف من النساء سترُمَل، مئات الآلاف من الأطفال سيُيتَموا، مئات الآلاف رفعوا السيوف على إخوانهم المسلمين، فهذا طريق الجحيم أن يقاتل مسلم مسلمًا «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بسَيْفَيْهِما فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ. كيف يا رسولَ اللهِ؟ فما بال المقتولِ؟ قالَ: إنَّه كانَ حَرِيصًا علَى قَتْلِ صَاحِبِهِ». كل هذا يكون والروم على حدود البلاد يترقبون غرة من المسلمين للانقضاض على بلاد المسلمين، فأرسل الحسن وهو الأقوى آنذاك، وهو الأحق والأفضل، وهو سيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسين، أرسل يطلب الصلح، وسلم الخلافة لمعاوية قائلًا له: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (١١١)﴾ [الأنبياء: ١١١]. فصدقت فيه مقولة الرسول محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إِنَّ ابنِي هذا سَيِّدٌ، ولعل اللهُ أن يُصْلِحَ بهِ بين فِئَتَيْنِ عظيمتينِ من المسلمينَ».

أيُّها الإخوة، إن الصلح خير صلح أولًا بيننا وبين ربنا، فكم هجرنا ديننا! وكم ابتعدنا عن كتاب ربنا! وكم ابتعدنا عن سنة نبينا! فهذا التبرج المزري المخزي، وهذه

البنوك الربوية، وهذا الحيود عن شرع رب العالمين، والخصومات التي بيننا، ودعاء غير الله الذي يسلكه الكثيرون، كل هذه مشاققة لأمر الله ورسوله، فعلينا بالرجوع إلى الله - سُبْحَانه- كي يحفظنا ويسلم بلادنا، علينا بالرجوع إلى ربنا الأعلى الذي خلقنا فسوانا والذي قدر لنا المقادير فهدانا، علينا بالإصلاح فيما بيننا، فنحن في أشهر حرم، والرسول يقول عمومًا: «لا يَحِلُّ لِمُسلمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ، يَلْتَقِيانِ: فَيُعْرِضُ هذا ويُعْرِضُ هذا، وخَيْرُهُما الذي يَبْدَأُ بالسَّلامِ». فصلح على مستوى الأفراد وبعضهم البعض، صلح بين الزوجة وزوجها وفيها نزلت ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. وسبب نزولها باختصار أو مما يذكره العلماء بإجمال مع سبب نزول الآية الكريمة، ما حاصله: أن الرجل إذا كان متزوجًا بامرأة وتزوج عليها بأخرى، فأرادت المرأة أن تُطلَق الأولى، والزوج لم يعد له فيها حاجة، كرهها، ولم يستطع معاشرتها، وهي أيضًا تريد الفراق، لكن يتدخل وسطاء فيقولون لها: تنازلي عن بعض الحق، تنازلي عن يومك، أو ليلتك، أو بعض الأيام والليالي، وأنت يا زوج تنازل عن حقك شيئًا ما، وأمسك عليك زوجك، فهذا أفضل من الطلاق، أفضل من الفراق، وورد في هذا أن سودة فرقت أن يطلقها النبي فتنازلت عن يومها وليلتها وكان قد تقدم بها السن، كان السن تقدم بها، ونزلت الآية، وبعدها قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. ما معنى ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. بعد التصالح يأتي الشيطان إلى المرأة فيقول لها: لمَ تتنازلين عن حقك؟ أنت أولى. ويقول للزوج: لمَ تُبقي عليها وليست لك فيها حاجة؟ طلقها. فشح النفس يحضرها، فالصلح خير من الفراق.

كذلك المرأة في المقابل إذا لم تعد لها حاجة في الرجل، ولا تستطيع أن تمتنع من الفراش للدين، فكرهت وأرادت أن تختلع، فأيضًا إذا قال لها: أبقي عليك والبيت يلتئم أولى من الطلاق، وأنا متنازل عن جزء من حقي. كل ذلك يجوز في الشرع، الصلح في الماليات يجوز أيضًا، خرج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على إثر صوت قد ارتفع في المسجد، فإذا بابن أبي حدرد يتقاضاه كعب بن مالك، كعب بن مالك يقول: «أعطني

حقي، أعطني الديون التي عليك. والآخر يقول: ما عندي شيء، أنا معسر». فقال النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مصلحًا آنذاك -ليس حكمًا إنما صلحًا-: «يا كعبُ بن مالكٍ، ضعْ مِن دينك هكذا، وأشارَ إلى النصفِ، قالَ: قدْ فَعَلْتُ يا رَسولَ اللهِ. قالَ لابنِ أبِي حَدْرَت: قُمْ فَاقْضِهِ». أي: قم تصرف وأتي بالنصف الباقي. فالصلح يجوز فيه ما لا يجوز في الحكم، الحكم يأخذ كل حقه، أما الصلح فيأخذ أقل من حقه إذا رضي بنفس طيبة.

فلتكن ثم فئة مصلحة، ولكن لا صلح في حدود الله إذا أُنتهكت، لا يجوز إذا قدر الله على شخص وارتكبت زوجته الحرام أن يأخذ أموالًا مقابل هذه الجريمة، إن رجلًا أتى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالَ: «يا رسولَ اللهِ، ابني كانَ عسيفًا عند هذا الرجلِ». أي: أجيرًا. وإنه وقعَ على امرأتِه، فقضوا أن على ابني مائةَ شاةٍ ووليدةٍ». يعني: أسلم لزوج المرأة مئة من الغنم وأمة من الإماء. فقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لأَقْضِيَنَّ بيْنَكُما بكِتَابِ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ-، الْشاةُ وَالوَلِيدَةُ رَدٌّ، وعلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يا أُنَيْسُ إلى امْرَأَةِ هذا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا».

وأيضًا في هذا الصدد صدد الصلح وجواده، الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرام أو حرم حلالًا، ويجوز أن تتصالح كما سلف على أقل من حقك، مات عبد الله والد جابر فجاء الغرماء أصحاب الديون إلى جابر يطالبون بالحقوق، وكان منهم يهود، قال جابر: «خذوا كل ثمار حديقتي، كل الثمار التي تركها أبي، وكل الثمار التي على الأشجار». فحصروها إذا بها لا تكفي ولا ربع الدين، فاستدعى النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- «خُذُوا ما لَكم، خُذُوا ما وَجَدْتُمْ». أبوا إلا أن يأخذوا الحق مستوفًا، فقال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «على رسلِك يا جابرُ». وجاء من الغد وطاف في الحديقة، ودعا وبرك، فقال: «كلُ يأتي يأخذُ حقَه». فأخذوا الحقوق وبقيت الحديقة كما هي ببركة دعاء رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، الشاهد من ذلك كله: أن النبي حثهم على أخذ جزء من حقهم والتنازل عن الجزء الباقي.

وكما أنه يجوز الصلح ويُستحَب، وقد يجب بين المسلمين، كذلك يجوز الصلح بين المسلمين والكفار، يجوز الصلح بين المسلمين والكفار وخاصةً في أوقات الاستضعاف، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «سَتُصالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وهُمْ عَدُوًّا من ورائِكم». ولا يخفى عليكم صلح الحديبية، كان بين رسول الله وبين أهل الكفر من أهل مكة، وسمى الله هذا الصلح ﴿فَتْحًا مُبِينًا (١)﴾ [الفتح: ١]. مع ما كان فيه وفي ظاهره من جورٍ على المسلمين، حتى أن سهيل بن عمرو يقول للرسول: «امحُ الرحمن، امحُ الرحيم، لا تكتب رسول الله، اكتب محمد بن عبد الله». وكل ذلك يستقبله الرسول فيقول لعلي: «اكتُبْ باسمِك اللَّهمَّ، اكتُبْ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ». والحدث يصور كما في سورة الفتح ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]. الكفار منفعلون، في أشد الانفعال، والمسلمون بهم قوة أيضًا، ولكن على رسول الله سكينة وعلى المؤمنين سكينة، فطرف منفعل وغضبان وأخذته الحمية حمية الجاهلية، والطرف الآخر الرسول وأهل الإيمان عليهم سكينة وإيمان، وفارق بين الذي يتصالح وهو منفعل والذي يتصالح وهو هادئ، فالذي هو هادئ يقرر الأمور بعقل، وحكمة، وإيمان، والآخر لا يدري ماذا يقول، وقد تزل منه الأقدام.

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. هذا الصلح مع ما كان فيه فيما يبدو للناظر لأول وهلة من شروط قاسية على المسلمين، لكن الله سماه ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾. فبعده أسلم سهيل بن عمرو هذا الذي كان يقول: «لا تكتب رسول الله». أسلم وحسن إسلامه، وأبلى بلاء حسنًا في الإسلام، وأسلم خالد بن الوليد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وأسلم عمرو بن العاص، وأسلمت طائفةٌ كان لها عظيم الأثر في نصرة هذا الدين القيم، ولعله لا يخفى عليكم صدر ما من خالد في مؤتة بما كان سببًا في قذف الرعب في قلوب الروم، إذ خالد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

سيف سله الله على أهل الشرك، فتعجب العالم آنذاك فئة قليلة ما تتجاوز ثلاثة آلاف عليهم خالد بن الوليد، وقبله ثلاثة من الأبطال المغاوير: زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وخالد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يأتي بعد مقتلهم واستشهادهم، والروم مئات الآلاف، ويتحدث الناس آنذاك أن ثلاثة آلاف فقط من أصحاب محمد ما استطاع لهم مئات الآلاف من الروم، فوقر الإسلام في قلوب كثير من العرب حتى أتباع الروم آنذاك، ودخلوا في دين الله أفواجًا.

فالصلح خير، صلح بينك وبين إخوانك المسلمين خير والله من الشقاق والفراق، صلح بين الزوجين، صلح بين الولد وأبيه وأمه، صلح بين الإخوة والأخوات، صلح بين الحكام وشعوبها، صلح بين المسلمين وبعضهم، وفي حالات الاستضعاف يجوز أن تتصالح حتى مع أهل الكفر حفظًا لدماء المسلمين، ولأموال المسلمين، ولأعراض المسلمين، الموفَق من وفقه الله، فعلى هذه الطائفة المصلحة أن تستعين بالله، وهي مُثابة مأجورة الله، ولتسأل الله التوفيق، فإن المصلح يجب أن يسأل ربه التوفيق، قال العبد الصالح خطيب الأنبياء قبل رسولنا محمد شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود: ٨٨].

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

قد أهل علينا وعليكم هلال شهر رجبٍ جعله الله هلال خير وبركة ورشد علينا، وعليكم، وعلى الإسلام، وعلى المسلمين أينما يكونون وحيثما يكونون، رجب من الأشهر الحرم، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي

كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. وهذه الأربعة بينها الرسول الأمين بقوله: «إِنَّ الزَّمانَ قد استدار كهيئتِه يومَ خَلَق اللهُ السَّمواتِ والأرضَ، السَّنةُ اثنا عَشَرَ شَهرًا، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثٌ متوالياتٌ: ذو القَعْدةِ، وذو الحِجَّةِ، وشهرُ اللهِ المحَرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشَعبانَ». لقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]. لقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. الآية، نعم القتال في الأشهر الحرم اتجه إليه الأمر بالنسخ، ولكن بقيت حرمتها، حرمة هذه الأشهر الحرم باقية إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾. والمراد بالنفس أحيانًا: إخواننا المسلمون كما قال تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]. أي: إخوانكم. كما قال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]. أي: بإخوانهم. وقد يُعنى بالنفس النفس ذاتها.

فلا تظلم إخوانك المسلمين، ولا تظلم نفسك بارتكاب المعاصي، لا تظلم الخلق، ولا تظلم النفس، لا تظلم أحدًا، فلا تقترف سوءً ولا تجر سوءً إلى مسلم، لا تجر سوءً إلى مسلم، فمن كان من عادته المعاصي فليقلع عنها، فإن المعاصي في الأشهر الحرم عقوبتها أشد من غيرها، من كان له ذنب يعتاده فليقلع عن الذنب، وليستغفر الله، وليجاهد نفسه في طاعة الله ومرضاته، من كان اقترف إثمًا على مسلم فليتحلل من المسلم؛ فإن الظلم في هذه الأشهر ليس كالظلم في غيرها، النظرة المحرمة ليست كالنظرة في غيرها وإن كان الكل حرام، الخوض في الأعراض ليس كالخوض في الأعراض في غيرها، وكذلك أعمال البر عليكم بها من صدقة، وصيام، وإصلاح بين الناس، ومن بذل وعطاء، هذا وعن الصيام في شهر رجب فلم يثبت فيه بخصوصه حديث عن رسول الله فيما علمت، ولكن استحب العلماء أعمال البر عمومًا في هذا الشهر، ومن أعمال البر الصيام، وذلك للمفهوم

المقابل لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾. وثمة حديث في سنده مقال يسير ويشهد له آخر فيه مقال يسير شجع كثيرًا من العلماء على القول باستحباب الصيام في رجب، أما الأول فحديث «صمْ مِن الحرمِ وافطرْ». وأما الثاني حديث فيه أن النبي سُئِل عن صيامه في شعبان، قال: «ذلكَ شهرٌ بينَ رجبٍ ورمضانَ لا يَغفلُ عنه الناسُ». فدل هذا بمفهومه على أن الناس لم يكونوا غافلين عن الصيام في رجب أو عن أعمال البر في رجب.

فعليكم بطاعة الله والبعد عن معصيته، وعلينا جميعًا بالدعاء للبلاد والعباد أن يسلمها الله -سُبْحَانه- وأن يحفظها قائمة بالإسلام قاعدة به، وفي كل وقت وحين، رافعة لراية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام في كل وقت وحين، اللهم اجعل هذه البلاد آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم فرج كرب المكروبين، وفك أسر المأسورين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، وأنجِ المستضعفين من المؤمنين يا رب العالمين، خذ بأيدينا جميعًا ونواصينا للبر والتقوى، وتوفانا على كلمتي الإسلام والهدى وأنت راضٍ عنا، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم ألبسنا لباس التقوى، وزودنا بزاد التقوى، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم أسكنا الفردوس، وارزقنا ما قرب إليها من قول وعمل، اللهم حسن أخلاقنا، وطيب أقوالنا، واصلح نوايانا، اللهم حسن أخلاقنا، وطيب أقوالنا، وحسن نوايانا، واصلح أعمالنا ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣)﴾ [آل عمران: ١٩٣].

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=fYcmxiUaGjE&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٧٠

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share